«الأنا» في مواجهة العالم

شمعون بلاص: **الوارث**، تل ـ أبيب: زموره، بيتان، ١٩٨٧، ١٥٥ صفحة

ان مجموع انتاج شمعون بلاص الروائي والنقدي يشير الى امكانات هذا الكاتب التقدمي النشط. فالدكتور بلاص هو استاذ للادب العربي الحديث في جامعة حيفا. وله، في مجال الدراسات، دراسة هامة جداً، هي «الادب العربي في ظل الحرب، ١٩٤٨ ـ ١٩٦٧»؛ كما صدر له الكثير من الدراسات حول الادب الفلسطيني؛ اضافة الى ترجماته لقصص غسان كنفاني الى العبرية. ومع ان بلاص معروف كباحث في الادب العربي، في الأوساط العربية، فاننا نقدّم استعراضاً لروايته الأخيرة «الوارث» التي تعتبر نقطة تحوّل في مجمل انتاجه الروائي.

الادب والسياسة

في احد اللقاءات، قال الكاتب بلاص ما يلي: «ان انتاجي الادبي لا يكاد يخلو من موضوع السلام والحرب، وان كان لا يتناوله تناولاً مباشراً». ولا يكاد يخلو عمل من أعماله من التأثيرات التي يفرزها الواقع على انتاجه الادبي. ومع ان بلاص هو احد الكتّاب الذين يدينون أعمال المؤسسة الصهيونية في كتابته الابداعية دائماً، فان كتابته بمثابة التصوير الصادق لما يحدث في البلاد. قال بلاص: «رواية ' انبلاج ' مثلاً، التي أُصدرت في العام ١٩٧٢، تبدأ احداثها في اليوم الاول من حرب الايام الستة وتصور حالة البلاد في الفترة التي أعقبتها. فالحرب وما نتج عنها من مآسٍ تشكّل خلفية للحبكة الروائية وتقود الفرد الى الشك في جدوى الانتظار. وهذا الموضوع يشكّل، أيضاً، احد الأركان التي تقوم عليها رواية ' الشتاء الاخير ' التي أُصدرت في العام ١٩٨٤، الا ان معالجته تتم على مستوى آخر، هو مستوى التعاون والمشاركة بين الفئات اليسارية من الطرف الاسرائيلي (واليهودي) والطرف الفلسطيني (والعربي) لحل النزاع في الشرق الاوسط، وتهيئة الارضية لنضال مشترك من اجل مستقبل اشتراكي، وذلك من خلال تصوير حياة المغتربين السياسيين في باريس، يهوداً وعرباً...». وتابع بلاص موضحاً موقفه من العلاقات العربية ـ اليهودية: «اما عن العلاقات اليهودية ـ العربية في اسرائيل، فلقد افردت لها رواية خاصة هي ' غرفة مغلقة ' تقص، بضمير المتكلم، المعاناة الشخصية لمثقف عربي مارس النضال في صفوف الحزب الشيوعي وفي ' حركة الارض ' ، ولاقى ما لاقى من العنت والاضطهاد، مما اضطره الى النزوح عن البلاد. ولا اتحدث عن قصصي القصيرة التي تصوّر البطل في طور الشباب مع اخوانه العراقيين في النضال السري ضد الحكم الملكي وأسياده. فكما ترى، انتاجي الادبي يرتكز على واقع مضطرب، وهو واقع النزاع الاسرائيلي ـ العربي. وقد ادّعى بعض النقّاد انني اكتب روايات سياسية. وعلى الرغم مما في هذا الادعاء من تعسف، فاني لا انكر ان الحياة السياسية في البلاد تشكّل خلفية للقصة، لانها جزء لا يتجزأ من الواقع الذي نمارسه يومياً».

فبلاص، الذي يكتب بالعبرية، لا يزال يعتبر نفسه ابناً للثقافة الشرقية في المنطقة. والوضع السياسي العام يؤثر في اجواء رواياته الكثيرة. لكن رواية «الوارث» الاخيرة تعتبر العمل الاكثر تكاملاً في مجموع روايات بلاص.

الكاتبان يكتبان

تتداخل حبكة «الوارث» في حبكتين يقوم بسردهما كاتبان: الكاتب الاول، بلاص، كاتب الرواية وخالق